جمعية أمسيا مصر (التربية عن طريق الفن)
المشهرة برقم (٥٣٢٠) سنة ٢٠١٤
مديرية الشئون الإجتماعية بالجيزة

دلالات الزمن والتحولات الإنسانية في الفنون البصرية
تطبيقات خزفية للخبز العماني

أ. ياسين خميس راشد السيفي
قسم التربية الفنية - كلية التربية
جامعة السلطان قابوس

د. زهراء احمد الزدجالي

أستاذ مساعد بقسم التربية الفنية - كلية التربية
جامعة السلطان قابوس

دلالات الزمن والتحولات الإنسانية في الفنون البصرية
تطبيقات خزفية للخبز العماني

الملخص
تتناول هذه الدراسة تمثيلات التحولات الوجودية المرتبطة بالمراحل العمرية للإنسان من خلال استلهام رمزية "الرغيف العُماني" (الرقاق) في ممارسات الفن البصري المعاصر، من خلال فن الخزف والتجهيز في الفراغ. تسعى الورقة البحثية إلى استكشاف أبعاد الزمن وتجلياته المفاهيمية عبر توظيف خامة محلية مألوفة ذات حمولة ثقافية، تُستثمر بصريًا لتمثيل دورة الحياة البشرية، بدءًا من الطفولة، مرورًا بالشباب، وانتهاءً بالشيخوخة. ترتكز الدراسة على المنهج القائم على الممارسة، حيث يتم عمل تركيبي خزفي يتكوّن من ثلاث قطع فنية متمايزة في الشكل والملمس واللون والتموضع، تمثل رمزيًا المراحل الثلاث الأساسية في حياة الإنسان. كما يستند الإطار النظري الى المنهج الوصفي التحليلي الذي يقودنا إلى تأملات فلسفية في مفهومي الزمن والهوية، مدعومًا بمقاربات مقارنة مع نماذج فنية عالمية، من أبرزها سلسلة "رحلة الحياة" للفنان الأمريكي توماس كول، بوصفها مرجعًا بصريًا يكرّس التصور الرمزي للدورة الوجودية. كشفت نتائج البحث عن فعالية الرموز الثقافية البسيطة في توليد خطاب بصري معقّد قادر على استثارة تأملات فلسفية عميقة حول مفاهيم الزمن، التحول، والمصير الإنساني. كما بيّن التحليل أن التوظيف الفني الدقيق لعناصر اللون، الملمس، التكوين، والموقع الفراغي أسهم في بناء سرد بصري متماسك ومتعدد الدلالات. توصي الدراسة بأهمية إدماج الرموز البصرية ذات الجذور الثقافية المحلية في ممارسات الفن المعاصر، بما يعزّز من فاعلية الفن كوسيط نقدي وتأملي، قادر على تحفيز المتلقي على إعادة النظر في العلاقة بين الزمن، الجسد، والهوية.

الكلمات المفتاحية
التجهيز في الفراغ، الخزف المعاصر، رمزية الخبز، الزمن

Abstract
This study examines the representation of existential transformations across the human lifespan, drawing inspiration from the symbolism of the Omani loaf (*riqaq*) within contemporary visual art practices, particularly through ceramics and installation art. The research seeks to explore the dimensions of time and its conceptual manifestations by employing a familiar, culturally significant local material—visually harnessed to represent the human life cycle, from childhood through youth and culminating in old age.
Adopting a practice-based approach, the study involves the creation of a ceramic installation composed of three distinct artworks, each differing in form, texture, color, and spatial placement, symbolically representing the three fundamental stages of human life. The theoretical framework is grounded in a descriptive-analytical methodology that encourages philosophical reflection on the concepts of time and identity. This is further supported by comparative analysis with international artistic models, most notably *The Voyage of Life* series by American artist Thomas Cole, which serves as a visual reference encapsulating a symbolic interpretation of the existential journey.
The findings reveal the effectiveness of simple cultural symbols in generating a sophisticated visual discourse capable of evoking profound philosophical contemplation on themes of time, transformation, and human destiny. The analysis also demonstrates that the deliberate use of color, texture, composition, and spatial arrangement contributes to the construction of a coherent, multi-layered visual narrative.

The study concludes by emphasizing the importance of integrating culturally rooted visual symbols into contemporary art practices, thereby enhancing the role of art as a critical and reflective medium capable of prompting the viewer to reconsider the intricate relationship between time, the body, and identity.

المقدمة

يشكل الخبز رمزاً عميقا متجذراً في الذاكرة الإنسانية، فهو ليس مجرد وسيلة لتلبية الاحتياجات البيولوجية للإنسان، بل انه يعكس التغيرات الاجتماعية والثقافية التي شهدتها المجتمعات عبر العصور ويجسد مفاهيم عميقة تتعلق بالحياة والاستمرارية، والهوية الثقافية. فمنذ اكتشاف الإنسان الزراعة واستئناس الحبوب وبدء طحنها وصناعة الخبز، تجاوزت وظيفته على توفير الغذاء فقط، ليصبح جزءاً لا يتجزأ من تطور الحضارات وتشكيل المجتمعات المستقرة التي اعتمدت عليه كمصدر رئيسي للغذاء. وعليه أصبح الخبز عنصرًا محوريًا في الاقتصاد والثقافة والدين، في العديد من الحضارات القديمة، مثل الحضارة المصرية واليونانية والرومانية، لعب الخبز فيها دورًا جوهريًا في الطقوس الدينية والمعتقدات الروحية، حيث كان يعتبر هبة من الآلهة ورمز للوفرة والبركة، مما جعله يتجاوز وظيفته الغذائية إلى أبعاد رمزية وثقافية أعمق.

لقد تجسدت الرمزية المرتبطة بالخبز في الفنون البصرية عبر مختلف العصور، حيث أصبح هذا العنصر البصري معبّرًا عن القيم الإنسانية المتنوعة مثل العطاء والتضحية والتواصل الاجتماعي. في الفنون الدينية، على سبيل المثال، ارتبط الخبز بمفاهيم الفداء والخلاص كما يتجلى في الأيقونات المسيحية التي تمثل "العشاء الأخير"، حيث تحول الخبز إلى رمز مقدس يعبر عن الحياة الروحية والتجدد. اما على الصعيد الاجتماعي، فقد استخدم الفنانون الخبز كأداة توثيقية لتسجيل التحولات الاقتصادية والطبقية، فقد ظهر في لوحات عصر النهضة والباروك كدليل على الثراء أو الفقر، حيث كان وجوده الوفير في اللوحات مؤشرا على الوفرة والرخاء، بينما كان غيابه رمزًا للعوز والحرمان. أما في الفنون المعاصرة، فقد أصبح الخبز وسيلة نقدية تعكس قضايا سياسية واجتماعية معقدة، اذ استخدمه الفنانون في أعمالهم للتعبير عن الأزمات الاقتصادية، والهجرة، والعدالة الاجتماعية، مما يعكس استمرار قوته الرمزية في العصر الحديث.

إن دراسة رمزية الخبز في الفنون البصرية تكشف عن التداخل المعقد بين العوامل التاريخية والاجتماعية والفلسفية التي ساهمت في تشكيل معناه في الذاكرة الإنسانية. فالخبز ليس مجرد عنصر مادي، بل هو وسيط تعبيري يحمل دلالات متعددة ويعكس رحلة الإنسان من العصور الأولى إلى المجتمعات الحديثة. حيث يهدف هذا البحث إلى تحليل تطور رمزية الخبز عبر العصور المختلفة، وكيفية استثمار الفنانين لهذه الرمزية في أعمالهم، بالإضافة إلى استكشاف العوامل التي جعلت الخبز أحد أكثر الرموز حضورًا في المخيلة البصرية والثقافية للإنسان.

إن استكشاف رمزية الخبز في الفنون البصرية يتطلب تحليلًا دقيقًا للتحولات التي مر بها هذا العنصر الأساسي من مجرد مادة غذائية إلى رمز معقد يعكس التحولات الفكرية والاجتماعية للإنسان. فقد كان الخبز حاضرًا في النقوش الجدارية المصرية القديمة، التي صوّرت عمليات طحن الحبوب وصناعة الأرغفة، مما يشير الى أهميته البالغة في الحياة اليومية والطقوس الدينية التي ربطته بالآلهة والخلود. وفي الحضارة الإغريقية، لم يكن الخبز مجرد طعام، بل كان جزءًا من الطقوس الدينية المرتبطة بالإلهة ديميتر، التي تمثل رمز الخصوبة والزراعة، ما يعكس ارتباطه العميق بالدورة الطبيعية للحياة. أما في الحضارة الرومانية، فقد كان توزيع الخبز على العامة بمثابة سياسة اقتصادية

واجتماعية تُهدف الى ضمان الاستقرار السياسي، وهو ما يظهر في العديد من الأعمال النحتية التي خلدت هذه الممارسات.

مع تطور الفنون في العصور الوسطى، اكتسب الخبز بعدًا دينيًا أكثر وضوحًا، حيث ظهر في الجداريات واللوحات التي صورت "العشاء الأخير" والممارسات المسيحية، مما جعله رمزًا للفداء والخلاص. وفي عصر النهضة، تحول الخبز الى رمز يعكس الحياة الاجتماعية والاقتصادية، حيث ظهرت لوحات تمثل مشاهد الأسواق والموائد التي تسلط الضوء على الفوارق الطبقية بين الأغنياء والفقراء من خلال الكمية ونوعيه الخبز. وفي الفن الباروكي، اعتمد الفنانون على استخدام الضوء والظل لتسليط الانتباه على الخبز كعنصر أساسي في التكوين البصري للأعمال، مما عزز دوره في نقل رسائل اجتماعية وروحانية.

اما في الفنون الحديثة والمعاصرة، فلم يعد الخبز مجرد عنصر تصويري تقليدي في اللوحات، بل أصبح جزءًا من التراكيب الفنية والتجارب المفاهيمية التي تطرح تساؤلات حول الاستهلاك والرأسمالية والهويات الثقافية. فقد وظّف الفنانون المعاصرون الخبز في أعمالهم بطرق غير تقليدية، حيث ظهرت منحوتات مصنوعة من الخبز، وأعمالًا فنية اخرى تستفيد من العفن والاضمحلال كرمز للفناء والزوال، أو حتى استخدامه كوسيلة للاحتجاج السياسي والتمرد على الأنظمة الاقتصادية غير العادلة. وبذلك، تحوّل الخبز إلى رمز للمقاومة والهوية الوطنية، حيث ظهر في الفنون الاحتجاجية للدلالة على الأزمات الاقتصادية والمجاعات والصراعات السياسية.

إن دراسة رمزية الخبز في الفنون البصرية لا تقتصر على كونه عنصرًا تصويريًا فقط، بل تكشف عن عمق العلاقة المعقدة بين الإنسان ومصادر بقائه، وكيفية استخدامه كأداة لتمثيل التحولات الاجتماعية والفكرية والثقافية. من خلال تحليل تطور هذه الرمزية، يمكننا فهم كيف استمر الخبز في التعبير عن معاني العطاء، والحياة، والمقاومة، والفقدان، مما يجعله واحدًا من أكثر الرموز ثباتًا واستمرارية في الفن والتاريخ الإنساني. وبالتالي، يسعى هذا البحث إلى تقديم قراءة شاملة لهذا الرمز العميق، مستعرضًا كيف استطاع الخبز أن يكون شاهدًا على رحلة الإنسان عبر الزمن، متجسدًا في أعمال فنية تعكس تطور المجتمعات وأزماتها وهوياتها المختلفة.

استنادًا إلى الأهمية الرمزية التي يحملها الخبز عبر العصور، يتضح أن دوره في الفنون البصرية لم يُستثمر بشكل كافٍ كوسيلة أساسية لتجسيد التحولات الزمنية في حياة الإنسان. ورغم ارتباطه العميق بالحياة والاستمرارية، فإن استخدامه كاستعارة بصرية لمسار الإنسان عبر المراحل العمرية المختلفة لا يزال مجالًا غير مستكشف بصورة كافية. بناءً على ذلك، يسعى هذا البحث إلى تسليط الضوء على الإمكانيات الرمزية والفنية للخبز العُماني المسطح في التعبير عن دورة الحياة الإنسانية، من خلال تحليل كيفية توظيفه في تكوينات فنية تمثل مراحل الطفولة، والشباب، والشيخوخة. من خلال دراسة الدلالات الثقافية والاجتماعية المرتبطة بهذا النوع من الخبز، يهدف البحث الى الكشف عن مدى قدرته على ترجمة البعد الزمني والتطور الإنساني ضمن إطار بصري معاصر، مما يسهم في توسيع نطاق فهمنا للخبز ليس فقط كغذاء، بل كرمز يحمل في طياته تاريخًا وتجربة إنسانية متكاملة.

أهمية الدراسة

تتمثل أهمية هذه الدراسة في قدرتها على التطرق على بُعد غير مستكشف في الفنون البصرية، حيث تسعى الى تحليل الخبز العُماني المسطح كاستعارة بصرية لتحولات الإنسان عبر الزمن. فمن خلال ربط عنصر غذائي يومي برحلة الإنسان الحياتية، تفتح الدراسة آفاقًا جديدة لفهم العلاقة بين الرموز الثقافية والتجربة الإنسانية وتسهم في توسيع مفاهيم التعبير الفني. كما تكمن أهميتها في تقديم رؤية مبتكرة لاستخدام الخبز كوسيلة تعبيرية لا تقتصر على كونها عنصرا

فنيا فقط، بل كرمز يعكس مراحل الحياة المختلفة مما يساهم في توسيع حدود التعبير الفني وتطوير خطاب بصري جديد حول الزمن والتحول. ومن جانب اخر، تعزز هذه الدراسة الفهم العميق للدلالات الرمزية للخبز في سياق الثقافة العُمانية، مما يسهم في توثيق التراث المحلي وإعادة تقديمه بأسلوب إبداعي معاصر. بالإضافة الى ان الدراسة تفتح المجال لإثراء المجال للحوار بين الفن والتاريخ والأنثروبولوجيا، من خلال تحليل كيفية تحول الخبز من مجرد عنصر استهلاكي إلى رمز ثقافي يعكس جوهر التجربة الإنسانية

مشكلة البحث

لعب الخبز على مر العصور دورًا رمزيًا في مختلف الثقافات، حيث مثّل الحياة، والاستمرارية، والزمن. وعلى الرغم من تلك الاهمية نادرًا ما استخدم الخبز كوسيلة أساسية للتعبير عن التحولات الزمنية في حياة الإنسان في الفنون البصرية. لذلك تسعى هذه الدراسة إلى استكشاف كيف يمكن للخبز العُماني المسطح أن يصبح استعارة بصرية واداة فنية للتعبير عن رحلة الإنسان عبر الزمن، كما يسعى إلى تحليل الدلالات الرمزية التي يحملها هذا الخبز عند توظيفه في تكوينات فنية تمثل فيها مراحل الطفولة، والشباب، والشيخوخة.

أسئلة الدراسة

١. كيف يمكن توظيف الخبز العُماني كرمز بصري لتمثيل التحولات الزمنية لمراحل حياة الإنسان؟
٢. ما هي الدلالات البصرية والرمزية التي يحملها الخبز العماني في الجانبين الثقافي والاجتماعي؟
٣. كيف يمكن للفنان المعاصر الاستفادة من الرمزية الثقافية للخبز العماني المسطح لإنتاج أعمال فنية تواكب القضايا الثقافية والاجتماعية والسياسية المعاصرة؟

أهداف الدراسة

تهدف الدراسة الى:

١. استكشاف الدلالات البصرية والرمزية المرتبطة بمراحل حياة الإنسان، وتحديد الأساليب الفنية التي يمكنها ان تعبر عن هذه التحولات الزمنية
٢. دراسة تأثير العناصر الفنية مثل الإضاءة، والظل، والملمس على إدراك المشاهد لفكرة الزمن، وتحديد كيفية توظيف هذه العناصر في الأعمال الفنية لتحقيق تأثير بصري معبر.
٣. تطوير رؤية بصرية مبتكرة لإعادة تقديم الخبز العُماني كعنصر فني يحمل أبعاداً رمزية تعكس تطور حياة الإنسان.

منهجية الدراسة

يعتمد البحث على المنهج الوصفي والمنهج التحليلي لدراسة وتحليل أعمال الفنانين التي تعكس رحلة الإنسان عبر الزمن باستخدام عناصر رمزية مثل الخبز كوسيلة لنقل الأفكار الفلسفية حول التحول والتغير في الحياة.
سيتم ذلك من خلال الأبعاد التالية:

١. **التحليلات الرمزية:**
وذلك من خلال دراسة الدلالات الرمزية للخبز العماني من جوانبه الثقافية والاجتماعية المختلفة، مع التركيز على ارتباطه بمراحل الحياة البشرية (الطفولة، الشباب، والشيخوخة) كما تم تجسيدها في الفنون البصرية.
يشمل هذا التحليل دراسة الرمزية الثقافية للخبز العماني في التقاليد والممارسات العمانية ايضا، واستخداماته في الفن المعاصر لفهم الأبعاد الثقافية والدينية المرتبطة به
٢. **الدراسة المقارنة للثقافات المختلفة**

وذلك من خلال مقارنة الخبز العماني مع رموز مشابهة في ثقافات أخرى لدراسة كيفية تمثيل الخبز في الفنون البصرية عبر العصور المختلفة. سيتناول البحث الفروق والتماثلات في الاستخدام الرمزي للخبز في النواحي الثقافية والاجتماعية، بهدف تسليط الضوء على الخصوصية الرمزية للخبز العماني.

كما سيتم استخدام منهجية البحث القائم على الممارسة لدراسة وتحليل الخبز العماني المسطح كعنصر فني ورمزي في الفنون البصرية. تهدف هذه المنهجية إلى دمج البحث النظري مع التجارب العملية والإبداعية واستخدام الخبز العماني كعنصر رئيسي في تكوينات فنية خزفية للوصول إلى نتائج تعكس تجسيد معاني فلسفية لرحلة الإنسان عبر الزمن من خلال أساليب فنية مبتكرة.

مصطلحات الدراسة

التجهيز في الفراغ (Installation Art)

فن التجهيز في الفراغ هو مصطلح فني شامل يعبر عن مجموعة من الممارسات التي تشمل ترتيب وتنسيق العناصر أو الأجسام داخل مساحة معينة، بحيث تصبح هذه المساحة جزءًا لا يتجزأ من العمل الفني، يتميز هذا الفن بكونه طريقة لإنتاج وعرض الأعمال الفنية أكثر من كونه أسلوبًا أو حركة فنية محددة. يجمع فن التجهيز بين وسائط تعبيرية تقليدية مثل التصوير والرسم والنحت، وأخرى غير تقليدية تشمل المعادن والنسيج والخرز، مع التركيز على كيفية ترتيب هذه العناصر وتقديمها، قد تتفاوت مساحات العمل من كبيرة إلى صغيرة، مما يجعل تجربة المشاهد لهذا الفن تختلف عن الأعمال التقليدية، حيث يتطلب تفاعلاً حسيًا متعدد الأبعاد، مثل اللمس والصوت وحتى الرائحة، بدلاً من الاقتصار على الرؤية فقط (اسحق، ٢٠١٣).

الخزف المعاصر (contemporary-ceramics)

تعرف (باهميم وسنبل، ٢٠٢٢) الخزف المعاصر بأنه عملية تضييق الفجوة بين عوالم الفنون الجميلة والحرف، حيث يمثل تحولا في تصور ما يمكن أن يعنيه الخزف وما يمكن أن يقدمه في إحياء جميع مجالات تقنيات الخزف، مع تسليط الضوء على إمكانيات الطين كوسيلة فنية متعددة الابعاد.

رمزية الرغيف (Symbolism of bread)

يرى (درويش، ٢٠١٣) أن الرمزية هي مذهب فني وأدبي يتمحور حول التعبير عن المعاني والمشاعر من خلال الرموز والإيماءات بدلاً من المحاكاة المباشرة للواقع، حيث يعتمد على خلق تآلف بين المشاعر، الأفكار، والصور الفنية وفق قوانين ذاتية، مما يمنح العمل الفني قيمته من خلال تجسيد الانفعالات الداخلية، وفلسفياً تمثل الرمزية موقفاً معارضا للفلسفة الوضعية والمذهب الطبيعي، إذ تسعى إلى تقديم مكافئ تشكيلي للطبيعة بدلاً من تقليدها حرفياً. ويعرف الباحث رمزية الرغيف بأنها استخدام الرغيف كصورة أو استعارة للتعبير عن قضايا وأفكار تتجاوز المعنى الحرفي له، بحيث يستخدم لتمثيل حالات مختلفة في الفن.

الزمن (**Time**)

الزمن هو مصطلح يُستخدم للإشارة إلى فترة من الوقت، سواء كانت قصيرة أو طويلة. يُقال "الزمن" و"الزمان"، والجمع منها هو "أزمان" و"أزمن" و"أزمنة". كما يُستخدم الفعل "أزمن الشيء" للإشارة إلى مرور الزمن الطويل عليه، بينما "ازمن بالمكان" تعني الإقامة فيه (ابن منظور، ٧١١هـ). الزمان يُعبّر عنه بحركات الأجرام السماوية، مثل ساعات الليل والنهار. كما يُعتبر الزمان في التعريفات الفلكية هو مقدار حركة الأجرام السماوية في الفلك، حيث تعكس ساعات الليل والنهار تقلبات الشمس والقمر في مدارهم. ووفقًا (للجرجاني، ١٩٨٥) يُعرَّف الزمان بأنه مقدار حركة الفلك، في حين يرى بعض الحكماء أن "الزمان" هو حركة الفلك الأعظم لأنه يشمل جميع الأجسام في الكون.

المبحث الأول: الدراسات السابقة

تناولت العديد من الدراسات موضوع الحركة والتعبير الفني في التشكيل الخزفي، حيث ركّزت على أبعادها الجمالية والتقنية والتعبيرية. في هذا الإطار، تشير دراسة عراقيب (٢٠٢٤) إلى أن عنصر الحركة يُعد من أبرز العناصر المؤثرة في العمل الفني الخزفي، لما له من قدرة على تجسيد الإيحاءات التعبيرية والمضامين الجمالية، خاصةً عند

توظيفه عبر تنقلات مستويات السطح لإبراز أوضاع الجسد الإنساني. وتؤكد الدراسة أهمية تقنية التشكيل بالكتلة كإحدى الوسائل اليدوية التي تتيح للفنان التعبير عن أفكاره الإبداعية بمرونة وديناميكية بصرية عالية.

أما دراسة فهمي (٢٠٢٤) فتركز على أثر الخامات وطرق التشكيل والتسوية على القيم التعبيرية في العمل الفني الخزفي. تهدف الدراسة إلى استكشاف الإمكانات الكامنة في المواد وتقنيات المعالجة لتحقيق نتائج جمالية متميزة، من خلال اعتماد أسلوب التجريب والاكتشاف، وتفصيل مراحل العمل من التشكيل إلى التلوين والتدخين كأدوات للتعبير الفني المتجدد.

في حين يُطرح حسان (٢٠٢٤) الخزف كفنّ متداخل بين التشكيل والنحت، منتقلاً من بعده الوظيفي التقليدي إلى فضاء تعبيري وفلسفي. اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي في استكشاف الجماليات المشتركة بين الخزف والنحت، وتأثير هذا التداخل في تطوير التفكير الإبداعي، مستندة إلى تحليل نماذج من أعمال الباحثة المشاركة في معرض "أنا وأحلامي" بجامعة حلوان عام ٢٠٢٢.

بينما تناولت آلاء (٢٠٢٤) في دراستها تحليل الخصائص التكوينية للأشكال الديناميكية ودورها في التعبير الفني المعاصر، من خلال عينة مكونة من أربعين عملًا خزفيًا، واختيار نماذج تمثيلية وفق منهج وصفي تحليلي. توصلت الدراسة إلى أن الديناميكية تتجلى في الترابط بين العناصر الشكلية، واستثمار العلاقات الهندسية والخامة واللون والتقنية لتحقيق إيقاع بصري مستمر.

أما دراسة المقرن (٢٠٢١) فتُعالج الحركة بوصفها مفهومًا مركزيًا في الخزف، من حيث ارتباطها بالزمان والمكان، وقدرتها على إعادة تشكيل الفضاء البصري. تسلط الدراسة الضوء على التراث الخزفي في المملكة العربية السعودية، وربطه بنظريات علمية معاصرة حول أنواع الحركة (الفعلية، التقديرية، الإيهامية)، كما تستعرض الاتجاهات الفنية الحديثة التي توظف الإيقاع والحركة كوسيط بصري ديناميكي يُثري العمل الفني عبر الزمن باعتباره بعدًا رابعًا في التكوين الخزفي.

تعكس الدراسات السابقة تنوعًا ثريًا في تناول الأبعاد التعبيرية والتقنية والجمالية لفن الخزف المعاصر، حيث تلتقي إسهامات كل من عراقيب (٢٠٢٤)، فهمي (٢٠٢٤)، حسان (٢٠٢٤)، آلاء (٢٠٢٤)، والمقرن (٢٠٢١) في إبراز أهمية الحركة، معالجة الخامات، والتحولات الشكلية، بوصفها مرتكزات أساسية في تكوين المعنى البصري والخطاب الفني في العمل الخزفي.

تناول عراقيب (٢٠٢٤) عنصر الحركة بوصفه أحد المحركات التعبيرية المحورية في النحت الخزفي، مبينًا قدرته على تجسيد الأوضاع الجسدية للإنسان من خلال تنوع مستويات السطح، مع التأكيد على فعالية التشكيل بالكتلة كطريقة يدوية تعبّر عن إمكانات الشكل بمرونة عالية. هذا الطرح ينسجم مع ما قدمته المقرن (٢٠٢١)، التي ناقشت الحركة من منظور أكثر اتساعًا، حيث اعتبرتها وسيطًا مكانيًا وزمانيًا يعكس فهم الفنان للفراغ وللعلاقات التكوينية، وربطت ذلك بمفاهيم علمية مثل الحركة الفعلية، التقديرية، والإيهامية. وقد اتفقت الدراستان على أن الحركة تمثل بعدًا جوهريًا في بنية التكوين الخزفي المعاصر.

من جانب آخر، ركّزت فهمي (٢٠٢٤) على تأثير الخامات وتقنيات المعالجة (كالتجفيف، التسوية، التلوين، التدخين) في تعزيز التعبير الجمالي، مشيرة إلى دور التجريب في استكشاف إمكانات بصرية مبتكرة. ويُلاحظ توازي هذا التوجه مع دراسة آلاء (٢٠٢٤)، التي ناقشت جماليات الأشكال الديناميكية في الخزف العالمي، مركزة على العلاقات

الهندسية، والتكرار الإيقاعي، والتكامل بين اللون والخامة كأدوات لإنتاج شعور بالحركة المستمرة. وعلى الرغم من أن فهمي ركز على العمليات التقنية، فإن آلاء ربطت الديناميكية بمخرجات الشكل وأثرها البصري الجمالي.

أما حسان (٢٠٢٤)، فقد قدّمت طرحًا مفاهيميًا متميزًا من خلال تناول ازدواجية الرؤية الفنية بين الخزف والنحت، موضحة أن التحول في وظيفة الخزف من وعاء تقني إلى وسيط تعبيري وفلسفي مكّن الفنانين من استثمار الإمكانات الشكلية والتقنية في ابتكار أعمال ذات بعد تأملي. كما تناولت التحولات الشكلية والجماليات المشتركة كمدخل لتعزيز التفكير الإبداعي وتوسيع أفق التشكيل الخزفي المعاصر.

بذلك، يتضح أن الدراسات السابقة مجتمعة تُسهم في بناء تصور متكامل حول دور الحركة، المعالجة التقنية، والتحول الجمالي في إنتاج فن خزفي معاصر قادر على التعبير عن مفاهيم الهوية، الزمن، والتحول الوجودي.

المبحث الثاني: تحولات الزمن البصري: تمثيلات الحياة الإنسانية وتشكيلها عبر الضوء والرمز والملمس

لطالما شكّل الزمن أحد أكثر المواضيع المعقدة والثرية التي تناولها الفن عبر عصوره، لاسيّما فيما يتعلّق بتجسيد مراحل الحياة الإنسانية وتحولاتها الرمزية والنفسية. وقد سعى الفنانون إلى ترجمة هذه المراحل إلى بنيات بصرية توحي بالتقدّم الزمني، لا بوصفه مجرّد تسلسل لحظي، بل كرحلة ذات طابع وجودي، تُصاغ من خلال الضوء والظل، الملمس، التكوين، والرمز، كما جاء في اعمال الفنانين:

١. سلفادور دالي: ولادة الإنسان الجديد من بيضة العالم

في عمله "طفل جيوبوليتيكوس يشاهد ميلاد الإنسان الجديد" (١٩٤٣)، يُجسّد دالي رمزية ولادة جديدة لعالم ما بعد الحرب العالمية الثانية، مستخدمًا البيضة كرمز كلاسيكي للخلق، ولكنها هنا مشروخة، دامية، وتخرج منها ولادة عنيفة. هذه المفارقة تجسد صراع الحداثة، نهاية الإنسان القديم وبداية كينونة مشروطة بواقع قاسٍ .الإضاءة في اللوحة تخدم هذا التحول، فالجسد الناشئ من البيضة مضاء بقوة من الجهة اليسرى، بينما يسود الظلّ والقلق الأجزاء المحيطة، ما يخلق إحساسًا بصريًا بالانفصال عن العالم، أي اللحظة المفصلية التي يولد فيها الزمن الجديد (الشريفي، ٢٠١٣).
الملمس اللوني واضح في سطح البيضة المتشقق، في الدم المتسرب، في قطعة القماش البيضاء النقية التي استقبلت هذا الدم، مما يُعمّق البعد الرمزي لتحوّلات الحياة بين الطهارة والدمار، بين الفقد والبداية (شكل ١).

شكل (١) سلفادور دالي طفل جيوبوليتيكوس يشاهد ميلاد الإنسان الجديد ١٩٤٣، زيت على قماش، ٥٢*٤٤,٥ سم، متحف سلفادور دالي، سانت بطرسبرغ

٢. توماس كول: رحلة الحياة كخريطة بصرية لمراحل الإنسان

في سلسلة "رحلة الحياة" (١٨٤٢)، يصوغ كول أربعة مشاهد رمزية تمثّل مراحل الحياة: الطفولة، الشباب، الرجولة، والشيخوخة. كل مشهد يُجسَّد في مشهد طبيعي ضخم، حيث يلعب الضوء واللون والظل دورًا مركزيًا في تشكيل إحساس الزمن.

- في "الطفولة"، يظهر الطفل في قارب يخرج من كهف، محاط بنور صافٍ ومناظر خضراء، ترمز إلى النقاء والبدايات.
- في "الشباب"، يقود الصبي القارب نحو قصر بعيد يرمز للأحلام والطموحات، حيث يشتد الضوء ويكون الاتجاه للأمام.
- في "الرجولة"، يواجه الرجل أمواجًا عاتية، ويتحول الضوء إلى تعرجات وتناقضات، مع مساحات ظل واسعة ترمز للتحديات.
- في "الشيخوخة"، يعود الضوء إلى هدوئه، ويقود الملاك العجوز إلى الأبدية عبر نهر هادئ، في تدرج من العتمة إلى النور الأبدي.

الإضاءة في كل لوحة ليست مجرد تقنية بصرية، بل تتابع زمني مرئي، أما الملمس، خصوصًا في الماء والصخور والغيوم، فيُستخدم لإيصال كثافة الشعور الزمني في كل مرحلة (Mann, 2015) (شكل ٢).

شكل (٢) توماس كول، ١٨٤٢، "رحلة الحياة" تمثل اللوحات من اليمين لليسار مراحل الحياة: الطفولة، الشباب، الرجولة، والشيخوخة

٣. تيتيان: العصور الثلاثة للإنسان كرمزية جسدية وزمنية

يُعد هذا العمل أحد أبرز اللوحات الرمزية في إنتاج الفنان الإيطالي تيتيان(Titian) ، العصور الثلاثة للإنسان" (١٥١٠) ويُجسّد من خلاله رؤية فلسفية عميقة لمفهوم الزمن الإنساني عبر ثلاث مراحل أساسية :الطفولة، الشباب، والشيخوخة .

يُقدَّم العمل داخل تركيب مجازي بصري يمزج بين الواقعية الجسدية والتكوين الرمزي، مما يعكس البعد التأملي الذي كان يميز الفن في بدايات عصر النهضة.
تعتمد اللوحة على تنظيم أفقي للمشهد، حيث تنتشر الشخصيات على امتداد الأرضية الأمامية تحت سماء زرقاء مفتوحة، وتتدرج هذه الشخصيات بصريًا من اليسار إلى اليمين، محاكية الانتقال الزمني من الميلاد إلى الموت.

أ- الطفولة:

في الجهة اليمنى، يظهر طفلان نائمان في براءة مطلقة، يرافقهما ملاك صغير ممتلئ الجسم، يحوم برشاقة فوقهما، ويرمز إلى الحماية الإلهية والنقاء المطلق في مرحلة الطفولة. لا تزال هذه المرحلة مرتبطة بالطبيعة والبراءة، حيث يغيب الوعي بالموت والزمن.

ب- الشباب:

في المركز، يظهر رجل شاب مفتول العضلات، بجانبه امرأة شابة تحمل مزمارين. يرمز هذا الجزء من اللوحة إلى ذروة الحياة، حيث يكون الإنسان منشغلاً بالحب، والموسيقى، وكل ما يرتبط بالوجود الزمني المباشر.

ج- الشيخوخة:

إلى أقصى اليسار، يجلس رجل مسن، ذو لحية بيضاء، يبدو منحنياً يحدق في جمجمتين أمامه، في مشهد تأملي قاتم. ينفصل العجوز عن صخب الحياة ليغرق في مواجهة الموت والانتهاء، ما يشير إلى وعيه العميق بالزمن والزوال.
يمتاز هذا العمل بتجسيده لفكرة أن الإنسان كائن معلّق بين لحظتين :لحظة الميلاد التي لا يختارها، ولحظة الموت التي لا يهرب منها. وبينهما، يغرق في عالم اللذة والتجربة، حيث يحاول نسيان الزمن، إلى أن يُجبر على مواجهته من جديد في نهاية العمر (شكل ٣).

شكل (٣) تيتيان، العصور الثلاثة للإنسان(١٥١٠) مقاس ١٥٠*٩٠ سم، المعرض الوطني الإسكوتلندي

٤. إيفان ميتروفيتش: بئر الحياة كمشهد نحتي لدورة الوجود

يُجسد النحات الكرواتي إيفان ميتروفيتش في عمله "بئر الحياة" (١٩٠٥) عبر عشرة تماثيل بشرية تحيط ببئر دائري، مراحل الحياة من الولادة إلى الموت. هنا يُصبح الزمن دائريًا، لا خطيًا، يتكرر ويتقاطع كما تفعل الأجساد المحيطة بالماء.
النحت يعتمد على ملمس البرونز لإبراز أثر الزمن على الجسد :الطفولة ناعمة ومتماسكة، الشيخوخة مشققة ومائلة، بينما تشير الإضاءة الطبيعية في الموقع الخارجي للمنحوتة إلى مرور الزمن فيزيائيًا على سطح التمثال، ليكون العمل بحد ذاته جسدًا يحمل عليه الزمن علاماته (شكل ٤).
تنبع قوة العمل من قدرته على تحويل الزمن إلى هيئة مرئية .فكل شخصية تجسد مرحلة زمنية، وكل حركة أو التواء يوحي بزمن داخلي يختلف عن الزمن الخارجي. كما يُحيل التركيب الدائري إلى فكرة الزمن الدوري في الفلسفات الشرقية

والميتافيزيقية، حيث لا يكون الزمن خطيًا ينتهي بالموت، بل دائريًا يتجدد بالحياة والموت معًا .والماء في البئر لا يظهر كمادة فيزيائية فقط، بل يُوظَّف كمرآة عاكسة للذات، ومصدر يتأمل فيه الإنسان معناه، مما يربط العمل بفكرة الهوية والوعي الذاتي.

شكل (٤) إيفان ميتروفيتش، بئر الحياة (١٩٠٥) تجسيد نحتي لدورة الحياة البشرية، حيث تنحني الأجساد حول البئر في حوار صامت بين الطفولة والشباب والشيخوخة، ويصبح الماء رمزًا للرغبة في البقاء وسط الزمن المتدفق

٥. كاسبر ديفيد فريدريش: مراحل الحياة عبر البحر

تُعد لوحة "مراحل الحياة "للفنان الألماني كاسبر ديفيد فريدريش (1840–1774) واحدة من أبرز الأعمال الرومانسية التي دمجت الرمزية البصرية بالمعاني الوجودية، وقد رسمها في سنواته الأخيرة كتلخيص شاعري لمسار الحياة البشرية.

في هذه اللوحة، يعرض فريدريش خمسة أشخاص على شاطئ بحر البلطيق، أمامهم خمس سفن شراعية تبحر في اتجاهات مختلفة. كل من الأشخاص والسفن يرتبط بدلالة عمرية وزمنية، ترمز إلى مراحل الحياة الخمس :الطفولة، الصبا، الشباب، الكهولة، والشيخوخة .ويُعتقد أن التكوين يمثل مسيرة الإنسان من الولادة إلى الموت كالاتي:

- **السفن :**تحمل السفن دلالات وجودية قوية. السفينة القريبة من الأفق التي تبحر بعيدًا ترمز إلى الشيخوخة أو الموت، وتُغلف بالألوان الرمادية والأزرق الداكن في مشهد يُحاكي الغروب، ما يعزز الإحساس بالنهاية والرحيل.
- **السفينة الوسطى:** والتي تُنزل أشرعتها تمثل الرجولة أو الكهولة، وهي في مرحلة الرجوع إلى الميناء، أي قرب انتهاء الرحلة.
- **السفينتان الصغيرتان:** في المقدمة تمثلان الطفولة والشباب، وقد بدأت رحلتهما للتو في مياه هادئة، قريبة من الشاطئ، توحي ببدايات الحياة النقية.
- **الأشخاص الخمسة:** على الشاطئ يرتدون ملابس مختلفة تعكس مراحل عمرية متعددة، منهم الطفل الصغير الذي يلوّح براية، والمرأة التي تميل نحوه بعطف، ورجل مسن يرتدي معطفًا داكنًا يقف متأملًا المشهد.

استخدم فريدريش الضوء في اللوحة بشكل رمزي، حيث يهبط تدريجيًا من الوهج الدافئ القريب من الشاطئ (رمز البدايات) إلى الأفق البعيد المعتم (رمز النهاية)، موحياً بـ تدرج الزمن. حيث تم توظيف الألوان الباردة والرمادية في السماء والماء لتعزيز الشعور بالحزن والتأمل، وهو سمة بارزة في معظم أعمال فريدريش، حيث يعكس فيها العلاقة بين الإنسان والطبيعة كمرآة لرحلته الوجودية. كما انه لم يظهر البحر كمجرد خلفية طبيعية، بل كرمز للرحلة الوجودية التي يخوضها الإنسان وحيدًا، رغم اتساع المشهد الاجتماعي من حوله (شكل ٥).

شكل (٥) كاسبر ديفيد، مراحل الحياة (١٨٣٥) رمزية بصرية لمسيرة الإنسان عبر الحياة، من الطفولة إلى الشيخوخة، حيث تتحول السفن إلى استعارات للزمن والرحيل في مشهد تأملي هادئ

تشترك أعمال الفنانين الخمسة: تيتيان، فريدريش، إيفان، كاسبر ودالي – في طرح تساؤلات فلسفية حول الزمن والوجود الإنساني، كلٌ بأسلوبه الخاص وخلفيته الثقافية. فمن خلال الرمزية الجسدية والطبيعة (كما في تيتيان وكاسبر)، أو عبر التعبير النحتي المكثف كما في أعمال إيفان، أو الرؤى السريالية العميقة كما لدى دالي، نجد أن الزمن لم يُصوّر بوصفه ظاهرة فيزيائية فقط، بل كحالة شعورية وتجربة وجودية تتخلل الجسد والوعي والذاكرة.

تُظهر هذه الأعمال كيف يمكن للفن أن يترجم التجربة الإنسانية إلى أشكال محسوسة ومعبرة، وهذا ما يدعم البحث الحالي، الذي يستند إلى توظيف خامات مألوفة (كالخبز) لتمثيل مسارات الزمن والهوية في العمل الفني المعاصر .إن قراءة هذه التجارب البصرية تمنح الباحث أرضية نظرية وفلسفية لفهم العلاقة بين المادة، الزمن، والرمز، وتُثري عملية إنتاج العمل الفني وتفسيره ضمن إطار حداثي ومفاهيمي.

المبحث الثالث: التجربة الذاتية للباحث في إنتاج عمل خزفي بعنوان 423

في إطار الفن المعاصر، لم يعد العمل الفني مجرد وسيلة لإنتاج الجمال أو إعادة تمثيل الواقع بصريًا، بل أصبح مجالًا مفتوحًا للتعبير عن التأملات الفلسفية والرمزية المنبثقة من التجربة الإنسانية الفردية والجمعية. لقد تجاوزت الممارسات الفنية المعاصرة الحدود التقليدية للشكل والأسلوب، متجهة نحو استكشاف المفاهيم الوجودية الكبرى مثل الزمن، الهوية، والمصير، عبر توظيف لغة بصرية تتسم بالكثافة الرمزية والقدرة على إثارة التأويل.

ويُعد الفن اليوم وسيطًا معرفيًا ومجالًا للتفكير النقدي، لا يكتفي بإنتاج الصورة، بل يستنطق الواقع ويعيد تشكيله من خلال عناصر مألوفة مُستمدّة من الحياة اليومية، كالجسد، أو الطعام، أو الأدوات المنزلية، بحيث تتحول هذه العناصر من كونها أشياء مادية إلى رموز حاملة للمعاني الثقافية والاجتماعية والعاطفية. فالخبز – على سبيل المثال – لم يعد مجرد منتج غذائي، بل بات يُستدعى فنيًا كرمز للعيش، للذاكرة، وللتجذر في الأرض والبيئة، بما يحمله من دلالات تخص الاستمرارية والهوية والانتماء.

من جهة أخرى، يُعد الزمن أحد الموضوعات الجوهرية في الفن المفاهيمي، إذ يمثل تجربة وجودية شاملة، لا تُدرك بصريًا إلا من خلال آثارها وتحولاتها، كالتآكل والنضج والتغير. وهنا تكمن قدرة الفنان في ترجمة هذا المفهوم المجرّد إلى لغة تشكيلية ملموسة تستحضر الذاكرة وتحفّز الوعي.

وفي هذا الإطار، يقدم العمل الفني المعنون بـ **"423"**تجربة ذاتية وفنية تعتمد على توظيف الخبز العُماني التقليدي (الرقاق) كمادة رمزية لتجسيد تحولات الإنسان عبر الزمن. ويستند العمل إلى مقاربة مفاهيمية تنطلق من بساطة الشكل وسكون السطح، لتؤسس دلالات بصرية عميقة تتعلق بتجربة الوجود الإنساني، وتحولاته المرحلية من الطفولة، إلى النضج، وصولًا إلى الشيخوخة (شكل ٦)

شكل (٦) عمل خزفي "٣٢٤" يُجسّد مراحل الحياة الإنسانية عبر تشكّلات سطحية في رقاق الخبز العُماني، رمزًا للزمن والتحوّل. من اليسار لليمين الطفولة، الشباب، الشيخوخة

وصف العمل الفني

يعرض العمل الفني ثلاث وحدات خزفية تُجسّد أرغفة من الخبز العُماني التقليدي (الرقاق)، موزعة بعناية على قواعد عرض بيضاء، في ترتيب دلالي يُحاكي المراحل الوجودية الثلاث للإنسان: الطفولة، الشباب، والشيخوخة. وعلى الرغم من بساطة المادة المستخدمة، إلا أن العمل يتجاوز حدود الشكل ليغوص في رمزية الزمن والتجربة الإنسانية (انظر شكل ٦)

تُجسّد القطعة الأولى، الموضوعة إلى اليسار، مرحلة الطفولة؛ إذ تتّسم بملمسها الطري ونعومتها الفائقة، مع حواف غير منتظمة توحي بعدم التكوّن الكامل. لونها الفاتح ولمعان سطحها يرمزان إلى البراءة والنقاء، كأنها تمثل الولادة الأولى، لحظة الانبثاق من الطين، التي لم تمسّها قسوة التجربة بعد. موقعها على يسار التكوين يعكس بعدًا زمنيًا يُشير إلى بداية الرحلة الإنسانية، حيث تتجلى الإمكانيات كلها في حالة من الهشاشة المؤقتة.

هذه القراءة الشكلية والمادية لا تُستنفد عند حدود البصر، بل تُفعّل انفعالات الذاكرة والوجدان لدى المتلقي، مستحضرة مفاهيم الطمأنينة، الحماية، والبداية النقيّة (شكل٧).

شكل (٧) رحلة الحياة للعمل الخزفي "٤٣٢" ترمز إلى الطفولة عبر تشكيل يحمل دلالات زمنية وإنسانية

تتوسط القطعة الثانية منصة العرض، وتحتل مكانها في قلب التكوين بوصفها مركز الثقل البصري والرمزي في هذا العمل الفني. هي الرغيف الأكثر صلابة وامتلاءً مقارنة بنظيرتها على الجانبين، وتبدو كما لو أنها قد بلغت أقصى درجات النضج في التكوين والتجربة. يُلاحَظ أن ملمسها أكثر خشونة، وسطحها يعرض نتوءات طفيفة وتفاصيل دقيقة توحي بالتفاعل مع المحيط، بما يعكس مرور الزمن واحتكاك الذات بالعالم الخارجي. هذا التباين المتعمد في الملمس والهيئة ليس مجرد تقنية تشكيلية، بل يحمل في طياته رمزية مرحلة الشباب – تلك المرحلة التي تُعد ذروة الطاقة والحضور الإنساني (انظر شكل ٦).

يظهر الرغيف وقد اتسع في حجمه، متماسك في بنيته، متوازن في انحناءته. خطوطه أكثر وضوحًا واستقرارًا، وكأن الجسد – في هذه المرحلة – قد اكتسب تماسكه، والعقل قد بدأ يستوعب أبعاد الوجود من حوله. اللون هنا يميل إلى درجة أغمق من الأبيض، يوحي بدخول الحياة إلى حيز الفعل والاحتكاك، ويعبّر عن اكتساب التجربة والتشكل في ظل ظروف أكثر تعقيدًا من الطفولة. تموضع القطعة في المركز لا يكتفي بإبرازها كعنصر محوري ضمن التكوين البصري، بل يرسّخها كذروة المنحنى الزمني الذي يتبناه العمل، في إحالة مباشرة إلى أن مرحلة الشباب تمثل قمة النشاط، والقرار، والانطلاق نحو بناء الذات والعالم معًا.

الديناميكية التي تميّز هذه القطعة لا تظهر فقط في شكلها، بل في طاقتها الرمزية: فهي لحظة التوازن بين البداية والنهاية، بين البراءة التي مضت، والنضج الذي يُنتظر. إنها المرحلة التي يكون فيها الإنسان مشغولًا بالسعي، بالإنتاج، بالتحقيق، متحررًا من هشاشة الطفولة، ومقبلًا على مواجهة الحياة بكل ما تحمله من تحديات. وكأن هذه القطعة، في قلب العمل، تنبض بوهج الوجود الإنساني في أوج تألقه، ترمز إلى سنوات العطاء والحركة، إلى الزمن الذي يُصنع فيه القرار وتُبنى فيه الملامح الشخصية والاجتماعية. بهذا التكوين، تُصبح القطعة الوسطى أكثر من مجرد رغيف خزفي – إنها استعارة بصرية لمراحل النضوج، حيث يتشابك الشكل مع المعنى، وتتحول المادة إلى لغة قادرة على التعبير عن أعقد مراحل الكائن الإنساني (شكل ٨).

شكل (٨) رحلة الحياة للعمل الخزفي "٤٣٢" ترمز إلى الشباب عبر تشكيل يحمل دلالات زمنية وإنسانية

تقع القطعة اليمنى على طرف منصة العرض كخاتمة صامتة ومؤثرة لهذا التكوين الثلاثي. إنها الرغيف الأكثر خشونة وتعرّجًا بين نظيراتها، وقد بدأ سطحها متآكلًا، حوافها متهشمة، ونسيجها يحمل تشققات دقيقة كأنها نقوش الزمن ذاته. تفتقر هذه القطعة إلى النعومة التي عرفت بها الأولى، ولا تمتلك التماسك الذي اتسمت به الثانية، بل تمثل مرحلة الشيخوخة بكل ما تحمله من بصمات الإرهاق، وتداعيات الانطفاء التدريجي للجسد، لكن مع ذلك، فإنها تحمل في داخلها هدوءًا بصريًا وحكمة مكتسبة لا تخطئها العين (انظر شكل ٦).

تبدو هذه القطعة وكأنها لم تعد تقاوم، بل تسلّمت نفسها لفعل الزمن. تشققاتها ليست عشوائية، بل تشبه خريطة عمر طويل محفوف بالتجارب، والخذلان، والانتصار، والتأمل. لونها الأغمق، ونبرتها الترابية، يعكسان خفوت الضوء لا انعدامه، وكأنها تسكن في ظل غروبٍ دافئ لا يخلو من الجمال. إن هشاشتها الحالية لا توحي بالضعف، بل تشير إلى تحوّل داخلي، إلى حالة من التصالح مع الذات، وإدراك عميق لقيمة ما مضى وما تبقّى. ومن حيث الموضع، فإن تمركزها في الجهة اليمنى ليس عشوائيًا، بل يشير إلى نهاية الرحلة البصرية والرمزية التي يقدّمها العمل. إنها المحطة الأخيرة في المسار الزمني للإنسان، حيث يصبح الجسد وعاءً للتجربة، والروح تميل إلى السكينة. رغم تشظي الأطراف وخشونة السطح، فإن القطعة تنبعث منها طاقة صامتة توحي بالوقار والرضا، وكأنها تقول إن في النهاية تكمن البصيرة، وفي التآكل يكمُن المعنى، وفي التوقف نبضٌ آخر من الحياة (شكل ٩).

وهكذا، تُغلق هذه القطعة الدائرة الرمزية التي بدأتها الرغيف الأولى، لا لتعلن نهاية جامدة، بل لتوحي بالاكتمال. إنها ليست نهاية حادة، بل تلاشيًا هادئًا، وتحوّلًا بصريًا إلى الحكمة، لتغدو هذه القطعة تمثيلًا بصريًا صادقًا لمرحلة النضج النهائي، حيث يعلو الصوت الداخلي على الضجيج الخارجي، وتستكين الحياة في جسدٍ عرف كل محطاتها، واستقر في مكانه الأخير بهدوءٍ أشبه بالتأمل.

شكل (٩) رحلة الحياة للعمل الخزفي "٤٣٢" ترمز إلى الشيخوخة عبر تشكيل يحمل دلالات زمنية وإنسانية

نتائج الدراسة

أسفرت التجربة الفنية الذاتية المعنونة بـ **"423"** عن مجموعة من النتائج الجمالية والمفاهيمية التي تساهم في إثراء النقاش حول توظيف الخامات اليومية في الفن المعاصر، وبالأخص في مجال الخزف:

١. تحويل الخامة إلى رمز بصري مفاهيمي :أظهرت التجربة أن الخبز العُماني التقليدي (الرقاق)، بوصفه مادة مألوفة ومرتبطة بالذاكرة المجتمعية، يمكن أن يتحوّل إلى وسيط رمزي فعّال للتعبير عن مفاهيم كبرى مثل الزمن، التحول، والوجود الإنساني.

٢. إمكانية تمثيل المراحل الحياتية عبر التكوين الخزفي :أثبت العمل قدرة التشكيل الخزفي على تجسيد مراحل الحياة (الطفولة، الشباب، الشيخوخة) من خلال الفروقات الشكلية والملمسية بين الأجزاء الثلاثة، ما عزّز من قدرة المادة على سرد الزمن بصريًا.
٣. الخزف كوسيط للتأمل الفلسفي :أظهرت نتائج التجربة أن الخزف لا يقتصر على البعد الجمالي أو الحرفي، بل يتعداه ليصبح وسيلة تأملية وفلسفية قادرة على حمل قضايا وجودية من خلال بنيته المادية وحضوره الرمزي.
٤. تعزيز العلاقة بين الفن والذاكرة الثقافية :بيّنت التجربة كيف يمكن للمفردات المحلية البسيطة – كالرغيف التقليدي – أن تستحضر طبقات من المعنى المرتبطة بالهوية والانتماء والزمان، وتعيد توظيفها فنيًا في سياقات معاصرة.
٥. تقاطع التجربة الذاتية مع المفهوم الكوني :أظهرت التجربة أن الانطلاق من تجربة شخصية وفردية لا يلغي الأبعاد الكونية للعمل، بل قد يعززها من خلال تقديم قراءة إنسانية شمولية للزمن والحياة، تصلح لأن تكون مفهومة في سياقات ثقافية مختلفة.

الخاتمة

يمثل هذا العمل الخزفي تركيبًا بصريًا ومفاهيميًا يتناول رحلة الإنسان عبر ثلاث مراحل وجودية متعاقبة: الطفولة، الشباب، والشيخوخة، مستعينًا برغيف الخبز العُماني (الرقاق) كرمز مركزي يتجاوز بعده اليومي ليكتسب دلالات فلسفية عميقة. يُوظف الباحث المادة البسيطة والمرتبطة بالحياة اليومية لتحمل معاني الوجود والتحول، حيث تتجسد الطفولة في قطعة هشة وناعمة، تُحاكي البراءة والبدايات، بينما تمثل القطعة الوسطى ذروة النضج والقوة في مرحلة الشباب، وتأتي القطعة الثالثة بتكوّناتها المتشققة لتُحاكي الشيخوخة وما تحمله من أثر الزمن، والتأمل، والحكمة.
يعكس التكوين الثلاثي مسارًا زمنيًا لا يُقرأ بوصفه تسلسلاً بيولوجيًا فحسب، بل كرحلة داخلية وجودية تحمل في طياتها معاني التشكّل، والاكتساب، والانطفاء الهادئ. يتعامل العمل مع الخزف لا كمجرد خامة، بل كوسيط فلسفي ينقل تجربة الحياة في صورتها الأعمق، ويمنح المتلقي فرصة للتأمل في ماهية الزمن، والتحول، والكينونة. بهذه الرؤية، تتحول مادّة الخبز من دلالة القوت والاستمرار إلى لغة رمزية تستوعب ثقل التجربة الإنسانية، وتُعيد صياغة الذاكرة في تشكيل ملموس يتجاوز المحسوس إلى الفكر.

التوصيات

١. تعزيز توظيف الخامات المحلية في الفنون المعاصرة باستكشاف الخامات المتجذّرة في البيئة والثقافة المحلية – كالخبز التقليدي – بوصفها وسائط تعبيرية تحمل إمكانيات رمزية عميقة تسهم في بناء خطاب بصري معاصر مرتبط بالهوية.

٢. دعم الممارسات الفنية التي تنطلق من التجربة الفردية باعتبارها منطلقًا لبلورة رؤى فنية ذات بعد كوني، مما يعزز من قدرة العمل الفني على التواصل مع المتلقي على المستويين الشخصي والإنساني العام.

٣. استخدام التكوينات الخزفية كوسيط سردي بصري عن الأفكار المجردة والتجارب الزمنية والوجودية، لما يتمتع به من خصائص مادية وحسية تجعله وسيطًا ملائمًا لسرد القصص الرمزية والمعنوية.

٤. دمج الفنون البصرية بمنهجيات التفكير الفلسفي والرمزي ضمن تدريس الفنون البصرية في المؤسسات الأكاديمية، بهدف تنمية وعي الفنان تجاه قدرات العمل الفني في التعبير عن القضايا الإنسانية العميقة وليس فقط الأبعاد الجمالية.

المراجع

أولا: المراجع العربية

ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي (٧١١هـ). لسان العرب، دار المعارف القاهرة درت مع ٣، ج ٢١، ص ١١٨٦٧

اسحق، ريهام عادل عياد، عبد المقصود، رشا رجب، و عبدالعزيز، أماني ناجي. (٢٠١٣). رؤية تشكيلية مستحدثة للمشغولة الفنية المتعددة الخامات في ضوء فن التجهيز في الفراغ. مجلة التصميم الدولية، مج٣، ع٣، ص ص ١٩-٣٣.

جابر، سليم. (٢٠١٩). الغذاء والهوية في الحضارات القديمة. عمّان: دار اليازوري العلمية.

الجرجاني، علي بن محمد. (١٩٨٥) التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت.

حسان، رانيا رجب محمود. (٢٠٢٤). ازدواجية الرؤية الفنية بجماليات الخزف النحتي كمدخل للتفكير الإبداعي. مجلة العمارة والفنون والعلوم الإنسانية، ع(٤٧)، ص ص 260 – 234.

درويش، سعيد. السيد، عبدالله. محفل، محمد. (٢٠١٣). الرمز والرمزية في الفن التشكيلي. مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية، ٢٩(١)، ص ص ٦٥٩-٦٧٢.

سنبل، منى عباس هلال & باهميم، هالة. (٢٠٢٢). فن التجهيز في الفراغ كمدخل لإثراء الخزف المعاصر في المملكة العربية السعودية. مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع،(86) . ص ص ١٨٨-١٩٩.الشريفي، أزهار كاظم كريم عباس. (٢٠١٣). الابعاد الفكرية والنفسية في رسوم سلفادور دالي. مجلة جامعة بابل - العلوم الإنسانية، مج٢١، ع٢. ص ص.535 - 522 .

عبيد، سمير. (٢٠٢٢). الفن والاحتجاج الاجتماعي: دراسة في الرموز اليومية. تونس: دار الجنوب.

عراقيب، ماهر. (٢٠٢٤). الحركة وايحاءات التعبير في التشكيل بالنحت الخزفي. مجلة البحوث في مجالات التربية النوعية، (51)10. ص ص 527-491.

فهمي، & خالد سراج الدين. (٢٠٢٤). التنوع في المعالجات الخزفية بما يخدم التعبير الجمالي في التشكيل الخزفي المعاصر. مجلة البحوث في مجالات التربية النوعية. (52)*10* ص ص 29-1.

محمد، آلاء فؤاد، والبياتي، زينب كاظم صالح. (٢٠٢٤). جماليات الأشكال الديناميكية في الخزف العالمي المعاصر. مجلة الدراسات المستدامة، مج٦. ص ص.2139 - 2117 .

المرزوقي، عبد الله. (٢٠٢٠). التمثيل الطبقي في الفنون البصرية الأوروبية. الكويت: دار عين الفنون.

المقرن، عبير بنت سعد بن حمد. (٢٠٢١). الحركة وعلاقتها بإدراك الشكل الخزفي المعاصر. مجلة العمارة والفنون والعلوم الإنسانية. عدد خاص، ص ص 1184 – 1163.

ثانيا: المراجع الأجنبية

Crawford A Man. (2015). Thomas Cole's "Voyage of Life". *The Members Magazine,* Winter 2015.

Mennell, S., Murcott, A., & van Otterloo, A. H. (1992). *The sociology of food: Eating, diet and culture*. SAGE Publications.

Counihan, C., & Van Esterik, P. (Eds.). (2013). *Food and culture: A reader* (3rd ed.). Routledge.

Curtis, K. R. (2016). *Bread, freedom, social justice: Workers and the Egyptian revolution*. Stanford University Press.

Kaplan, D. M. (Ed.). (2012). *The philosophy of food*. University of California Press.